



أحدث مفارقات الوهم لدى النظام السوري، أن حكومته واثقة ومطمئنة إلى قدرة الجيش السوري على فرض الأمن في أنحاء البلاد... بعد نحو أربع سنوات ونصف سنة من الصراع.

وآخر مفارقات البروباغندا الروسية أن موسكو تمنى تشغيل الأميركيين لحسابها، فيرسلون طائرات لتكثيف القصف على «داعش»، لثلا يقترب أكثر من آسيا الوسطى.

أليس في الأمر تكرار للتضليل الإيراني الذي يتهم واشنطن بالتواطؤ مع تنظيم «داعش»، ثم يوزع إلى رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي بطلب تفعيل دور التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة؟

لواشنطن حصة أيضاً في حفلة التراشق بالاتهامات، فهي تكرر أنها واثقة من أن نظام الرئيس بشار الأسد يساعد «داعش»، لكنها لا ترمي قوات النظام بحجر! طهران تتهم أميركا بترك العراق لقمة سائفة لـ «داعش»، وبغداد تتهم التحالف الدولي بالقصصير، وواشنطن وباريس تتهمان حكومة العبادي بالامتناع عن وعدها إطلاق قطار المصالحة بين العراقيين، سنة وشيعة، ومعالجة أزمة تهميش السنة التي تسلّل منها «الجهاديون» والتنظيم الذي ما زال لغزاً غامضاً، فيما السؤال هو: من يشغل «داعش»، ولماذا تعجز عشرون دولة في التحالف عن تحطيمه في سوريا والعراق؟

كان واضحاً في مؤتمر باريس، فلق التحالف من قدرة التنظيم على ابتلاء مزيد من المساحات السورية والعراقية، وقلقه خصوصاً من تشغيل بغداد «حشداً شعبياً»، ما إن يحرر بلدة أو مدينة في المناطق السنية العراقية حتى تنطلق آلة التكيل بسكانها وهدم بيوتهم، وتشريدهم.

والحال أن تأييد التحالف مشاركة «الحشد» في القتال لاستعادة مناطق يحتلها «داعش»، كما يوحى بيان مؤتمر باريس، جاء ملتبساً من دون اشتراط واضح، بمنع استهداف المدنيين، أو اضطهادهم ومعاقبتهم لأنهم عملاء لـ «داعش».

وهل يثق التحالف فعلاً بحكومة يُمنع مواطنوها المهجّرون والمشرّدون من دخول بغداد، فقط لكونهم من السنة؟ عودة إلى مسلسل الاتهامات حول الانتكاسة في الحرب على «داعش»، يقول العبادي إن المشكلة دولية، ويردّ التحالف بأن المشكلة عراقية أولاً، فلا مصالحة حقّقها العبادي، ولا دفاعه عن «الحشد الشعبي» يهدّئ مخاوف عشائر الأنبار من تكرار مأساة الانتقام.

بين العراقيين اليوم، كثيرون - ربما بالملابس - محاصرون بين رعب «داعش» وبطشه، وبين جور مليشيات شيعية، بها وحدها يثق قاسم سليماني قائد «فيلق القدس»، ولها فقط ترسل طهران الصواريخ. نكبة ونكبات في سوريا، وأخرى في العراق. تدعم إيران مليشيات ذات لون مذهبي، فيما يعد رئيسها «المعتدل» حسن روحاني بالدفاع عن الأسد حتى النهاية. يفاض «الشيطان الأكبر» في الملف النووي ويتمى التطبيع معه، لكنه يحارب حتى النهاية مَنْ يقاتل نظام الأسد... ولو سقط مليون سوري في الحرب الوحشية.

يريد الكرمليين من البيت الأبيض أن ينسق مع جهود نظام الأسد ورعايه الإيرانيين، ليس فقط لضمان بقاءه، بل لحماية أمن روسيا من تمدد طموحات «أبو بكر البغدادي»... وفيما يشيع الأميركي تفاولاً بالحوار مع موسكو، يكرر أن الأسد لن يكون جزءاً من الحل. وبالتالي أي تقارب بين روسيا والولايات المتحدة يلغى الأصداء؟ وحين ترتج طهران لمفاجآت ميدانية في سورية قريباً، هل تتحقق بمجرد قيادة سليماني معركة كبرى لاستعادة إدلب؟

خيار العراقيين بين المرّ والأمر، خيار السوريين بين المجازر المتنقلة والقتل الأعمى الذي ما زال الرئيس باراك أوباما عاجزاً عن رؤيته، بعدما نصح العرب باقتلاع شوكهم بأيديهم. وبين البراميل المتفجرة والصواريخ الإيرانية وغبار «داعش» وبطشه، تتفرّج طهران وتصدق ويثير دهشتها عدم تورّط الأميركي بعد، على الأرض.

«الشيطان الأكبر» مطلوب للأسوق الإيرانية بعد التطبيع، «الشيطان الأكبر» مطلوب بإلحاح، لتدمير مزيد من العواصم العربية، ولو سقط أبرياء كثيرون. الأميركي يتصف من الجو، إيران تتحرك على الأرض لتشغيل أنظمة عربية لحسابها، ولو أقفلت مئات الآلاف، في سورية والعراق... «داعش» فرصة ذهبية، ووحده يوحد مصالح طهران وموسكو وواشنطن ونظام الأسد، على رقاب الجميع.

الحرب الكونية في العالم العربي مديدة، والتحالف لم يبدل تشاومه. هو يبرّر بذلك فصولاً أكثر سواداً، وأشدّ مرارة.

الحياة اللندنية

المصادر: